

صورة من الثورة الفرنسية

## مدام رولان

١٧٥٤ - ١٧٩٣

بقلم عبد الرحمن فهمي  
ليسانس في الآداب

مدام رولان، أنقى شخصيات الثورة الفرنسية، لا تزال تدوى كلماتها الأخيرة وهي تصعد درجات المفصلة في كافة الأرجاء .

وهي مانون ابنة مثال باريسي يدعى فيليون ، وكانت غرفتها ملائمة (لاستيديو) النحت ، تقضى فيها وقتها منهمكة في قراءة تراجم أبطال التاريخ . أبكها يوماً أنها لم تكن رومانية أو إسبانية ، وقد جعلت أنها سوف تواجه أزمة لم يواجه مثلها أحد ممن كانت تعلم أن تكون مثلهم من أبطال التاريخ .

وكان يسرها كثيراً فوق قراءة الكتب اصطحاب أمها لها إلى حديقة النبات أو اللكسمبورج في باريس ، عشقت القرية ، وبدل على ذلك قولها (لأنني أحب هذا السكون الذي لا يعكر صفوه غير صياح الديكة ، وأشعر بالراحة التي تشمر بها شجرة

ولو أمكننا أن نرى المادة المحيطة بنا ، يبنى العلم ، لم نظهر لنا كما تظهر عادة - أي جامدة ومحسوسة بل تظهر مثل المجرة كثيرة الثقوب والمسافات الشاسعة بين أجزائها . ففي داخل النرة أما كن خالية . والدقائق قليلة متباعدة كالسيارات في النظام الشمسي

إنما الحياة في هذه الدنيا تجربة كبيرة ، ونحن موجودون هنا لنجرب ونمتحن . ومصائر الوجود في الأبد وفي عين الخالق مفترحة أمامنا ، وهي أبعد مما نستطيع تصوره . وليس الوجود الحاضر على هذا السيار ، سوى قصة قصيرة ، وغاطرة وقتية ، وسفر زائل ، يتبعها ذلك السفر السامى الطويل

فلا تخف لأن الخوف قطعة من العذاب « والحبة الكاملة تريل خوفنا » وهذا الكون تحكمه الحبة الكاملة . وهذه هي رسالتى . فلننم مع المرنم صاحب الزبور « مجيى الرب أيها السموات واسجدى له »

( ر . م . )

ينقلونها من صندوق ضيق محدود إلى حقل واسع فسيح) وأحببت الرسم الذى يأخذك منه سحره وقوته . غير أنها لم تواصل عمل أيها فى النحت طويلاً ، لأنها مالت إلى العلوم ، فكانت تنمى بما تقرأه وتلاحظه من تجارب الحياة عقلاً ناتجاً خدمت به الصالح العام .

أدخلت وهي فى الحادية عشرة من عمرها ديراً تعرفت فيه بصديقتين حميمتين توثقت بينهما عرى الصداقة وهما : هنريت وصوفى كانت . وبعد أن خرجن من الدير ورجعن إلى دورهن بقى الاتصال بينهما وثيقاً ، وذلك ما حدا بمجدة مانون إلى أن تقول لها ( ستسعين صديقتيك حالاً تزوجين ) وسنرى مقدار صحة هذه الملاحظة من جانب المجدة المعجوز .

ورسائل مانون أحسن وسيلة ترى منها صورة واضحة لشباب هذه الفتاة ، فقد تحول اهتمامها بالدين إلى تعشق الفلسفة ، ساعدها على ذلك عقل جبار يفكر كالرجل ولا يستريح . وقد انتقت من بين خطابها العديدين رجلاً توهمت أنها تزل إليه ، وهو مؤلف فيلسوف يدعى لابلازثير ، ولكن سرعان ما ألقت عن نفسها هذا الميل واطرحته جانباً ، غير واجدة فيه مثلها الأعلى . وكانت جد كلفة بكتابات روسو ، وقدر لها أن تراه ، وقد وصفت درجات سلم داره ( . . . كما لو كانت درجات سلم معبد ) .

من هذه الرسائل نرى فى مانون فتاة متحمسة ذكية ، حية نشطة ، حبة للاطلاع ، قوية الذاكرة ، وقد أثرت وفاة أمها فى حياتها غلباً نورها قليلاً بتأثير الصدمة والحاجة إلى المال بعد ذلك .

إلا أن القدر خط صفحة جديدة فى حياتها ، فإن شخصاً يكبرها بمشرين سنة تمكن من أن يكسب عطفها الدائم نحوه ومحبتها الثابتة له ، وهذا الشخص هو السيد رولان المفتش العام للصناعات ، وزفت إليه وهي فى سن السادسة والعشرين ، وانتقلت معه إلى ليون .

وكان لأسرة رولان نخبة طيبة من الأصدقاء المثقفين الوطنيين الذين غالباً ما كانت ترأسهم مدام رولان زاعبة بذلك تحمس الطريق نحو المجتمع الباريسى الساطع ، فإن أسعد أوقتها هي تلك التي كانت تقضها فى غرفة الموقد بين ابنتها الصغيرة تلميها حياكة

فاذا انصرفوا خلعت عنها ملابسها الرسمية ، وانكبت على مكتبها تعمل بمجد ونشاط فائقين .

وتمتاز من الجميع بهدوئها الظاهر ، يكنى من جانبها كلمة هاذئة تلقى لتقضى بها على الاختلاف الحاد في الآراء ، وغالباً ما أرسلت شماعاً منيراً يستضيء به القوم في نقاشهم فتحل المقد وتفلك الطلاس .

وكثيراً ما دعاها المجلس الوطنى ليطرها أعضاؤه وإبلا من الاسئلة كانت تجيب عليها جميعاً في اعتدال ووضوح وصراحة غير هيابة ولا وجله ، ولم تحف قط على حياتها ، انما كان اشفاقها دائماً على وطنها ، وقد رأت بنظرها الثاقب وعقلها الفطن الناضج أنه ليس بين الجيرونديين رجل واحد يمكن أن يعهد اليه بأمر البلاد ، وأنه لا يوجد بين العاقبة المتطرفين اثنان يمكن أن يشق أحدهما زميله .

وسرعان ما تحقق تشاؤمها عندما تمكن العاقبة بقيادة مارا ودايتون ورويسير من اسقاط الجيرونديين ، وأدانوا أسرة رولان فيمن أدين من المعتدلين ، فهرب رولان وقبض على زوجته ، ثم أخلى سبيلها ليقبض عليها مرة أخرى بعد ساعة من اخلاء سبيلها أقيت في أعماق السجون متهمة بأشنع التهم وأسفلها ، ولكنها في السجن كما هو الحال في أى مكان آخر استطاعت أن تغزو القلوب ، وصار حراسها طوع إرادتها ووهن اشارتها . ويشير صديق لها اعتاد زيارتها في سجنها ( بأنها كانت تحبته في شجاعة الرجل العظيم بصوت عذب كالوسيقى ) الا انها كانت تخلو بنفسها تستند الى النافذة وتمضى الساعات الطوال . وبعد أن كانت ترى في فرنسا مهدداً للإخاء والحرية والمساواة ، أصبحت تجد فيها كابوساً ثقيلاً ومجزرة يذبح فيها أبناؤها بتهمة حائق أو شكوى حاسد ، ولم تسد شهوة الدم وجشع السفاكين ما كان قائماً ليل نهار من قتل النفوس بالقصلة والرصاص والاغراق .

وقد ذكرت في آخر رسائلها انها ( تحب ضوء الشمس ودارها وزوجها وابنتها المحبوبة وخادماتها الوفيه ) وتركت لابنتها صحفاً حجة من رسائل الختان الأموى ملأى بالتصامح الغالية والكتاب الآتى أحد هذه الرسائل التى كتبها في سجنها اليها : ( لست أدري يا عزيزتى ان كان يسمح لى بمقابلتك أو الكتابة

قطعة من قماش وبين زوجها يدرس أوراقه على مكتبه ، على حين تطرق أذنها فرقة النار فى الموقد وصوت الصقيع يصدم النافذة . وصفت في رسائلها حبها الشديد لتغيير فصول السنة واختلاف مواسم الزراعة فى الحقول ، ولم يعل على حبها لفترة تنضجها وسط الطبيعة الهادئة أى حب آخر

غير أن هذا السلام لم يدم طويلاً ، فان الحكومة فى فرنسا كانت سيئة فى هذا الحين ، والاستقرابية الترفة فوق القانون ، والنوضى ضاربة بمجرانها على ربوع المملكة ، أما الشعب الجائع فالويل له إن بنس أحداً أفراداً بينت شفة ضد النظام اقام ، وكانت تكنى اشارة بسيطة أو تلميحاً سريماً لطرح المحتج فى أعماق السجون . ورمت أسرة رولان وأصدقائها بانفسهم فى احضان الحركة التى قصد بها اسقاط النظام الاقطاعى ومساوئه ، وأصبحت مدام رولان : هذه المرأة الجميلة اللطيفة ، روج حزب الجيرونديين الذى عمل على تشييد عهد الحرية على أساس معتدل

وبدأت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ وعهد الى رجال حزب الجيرونديين عام ١٧٩٢ بالحكم ، ولكن اعتدالهم واظهار استيائهم من مذبحه سبتمبر ورفضهم انتصويت ضد اعدام الملك أتاح الفرصة لتجتاح المتطرفين فقتلوا على المعتدلين — منشأ الثورة ومنبعها — وصعدوا على أنقاضهم الى منصة الحكم . وفى عام ١٧٩٣ أعدم الملك ومعظم الجيرونديين وبدأ عهد الأتهاب برعاية العاقبة أكثر متطرفى الثورة شدة وعنفاً .

عندما كانت السلطة فى يد الجيرونديين عهد الى السيد رولان بوزارة الداخلية ، فكانت زوجته هى التى تحضر أوراقه الرسمية ، وأصبحت بعد أن كانت تحرر الى أصدقائها أمثال صوفى وهزيت ترسل البابا والسك رسائل يستعين بها المؤرخ الذى يكتب عن هذا الفصل من تاريخ فرنسا ، ولو كانت مدام رولان رجلاً أو لو سمح للمرأة فى ذلك الوقت بلعب دور صريح على مسرح الحياة العامة لاختلف تاريخ الثورة الفرنسية عما هو عليه الآن .

وقد انتقلت مدام رولان من مسكنها التواضع الى الدار الفخمة التى كان يقطنها الوزير الخطير نكر ، ورائقتها حياتها الجديدة كل الموافقة ، الا انها لم تؤثر فى خلقها السامى وطبيعتها البسيطة . وكانت تمد السباط للوزراء جميعاً مرة كل يوم جمعة ،

# فن التصوير عند العرب

للأستاذ محمود خيرت

ضرب العرب بسهم وافر في الأدب والاجتماع والفلسفة والسياسة والفلك والكيمياء والطب وتخطيط البلدان وغير ذلك، فكانت مدنياتهم رائعة لم ينكرها المنصفون من علماء الغرب التي تقلها وبني عليها

والى جانب هذه الفنون في الزخرفة والعرييات « arabesques » التي يقوم أساسها على نبات عرف العرب كيف يبرعون في تعديد أوضاعه الهندسية براءة آثارت إعجاب هؤلاء العلماء الذين شهدوا لهم أيضاً بملوكهم في فن الانشاء والعمارة كما تنطق به جوامع القاهرة وقصر الحمراء بالأندلس وغيرها مما يعد من أعاجيب الآثار..

نعم، إن الطراز العربي غير مبتكر ابتكاراً لأنهم حين هبطوا الى مصر والأندلس ووقعت عيونهم على آثار الفن البيزنطي فيها استخلصوا منه عناصراً طرازهم، وحسبهم أنه مع تصويره للروح العربية جمع بين القدرة والحسن والزشافة.

وهكذا برهن العرب على مقدرتهم الفنية وعلى تسامحهم واحترامهم تلك الآثار فلم يعبثوا بها كما فعل « الانكروكلاست » أولئك النساك المتطرفون بآثار بيزنطة لما سيطروا على الحكم بها في القرن التاسع وصدروا القرن العاشر، إذ قضوا على الفن المسيحي فهشموا تماثيله وشردوا فنانيه حتى قصد بعضهم الى اكس لاشايل للخدمة في بلاط الملك شرلمان.

دون انتصافاً في سبيل اسعاد وطني. أقدمت على ازهاق روعي لا من خوف ولا وجل، ولكن احتجاجاً على اعدام زوجي. فرغبت عن الحياة التي دنستها الجرعة).

حقاً ان هذه الصورة تمثل نهاية قاسية لفصل مزيج من فصول التاريخ الانساني.

عبد الرحمن فهمي  
ليسانسيه في الآداب

الك مرة أخرى أولاً . تذكرى أمك دائماً . وهذا أحسن ما يمكن أن أقوله لك . ولقد عهدتني سعيدة لشعوري بتأدية الواجبات الملقاة على عاتقي ، ولاستطاعتي خدمة الذين يعانون آلام الحياة ومساعدتهم ؛ وهل الحياة إلا هذا ؟ لقد وجدته أذعن للقدر إذ يسوقني الى الأسر ، ولست مجرمة أستحق هذا ، إلا أن الذكري الطيبة والماضي الحسن والأعمال الجليلة هي كل عزائي ، وتعلها يستطيع المرء أن يحتمل مساوي الحياة وتقلبات القدر . ان ما أعتاه هو ألا يقدر لك مثل ما قدر لي من المشاق والمتاع وهناك ما لو استطعت اتباعه تفاديت به قسوة الحياة وحملت نفسك من مساوئها ، ألا وهو العيش المنتظم الذي لا فراغ فيه ؛ فهو حارس من كل خطر ؛ وهو حاجة تبحث عنها النفس وحكمة يسعى اليها العقل ، ليكرن صاحبها جاداً محترماً في حياته . فكوني عند حسن ظن أبويك بك ، فقد تركاك مثلاً جميلاً ، ولو استطعت أن تستغلي هذا المثل للوصول الى ناحية الكمال أمكنك أن تحيي حياة نافعة ) .

زارتها في سجنها يوماً هنرت كائنت ، وطلبت اليها أن تبدل لباسها وتسرع الى الهرب ، وتبقى هي في مكانها ، إلا أن مانون رفضت طلب صديقها في إباء وشتم ، قائلة لها ( ولكنهم يقتلونك ان فعلت ذلك ) وبعد خمسة أشهر من سجنها استدعيت للمحاكمة ، وكيلت لها التهم الشنعاء ، فوقفت تدفعها عن نفسها باكية ساخطة . وفي اليوم التالي في ٨ نوفمبر سنة ١٧٩٣ سبقت الى المقصلة ، ولما رأت الشجاعة تخون جلاها حنته على أن يؤدي واجبه ، وقد ظهرت وهي على شفا حفرة الموت نبيلة في لباس أبيض ناصع يدل على طهرها . وشعرها الأسود الفاحم مرسل حى وسطها ، ينبعث من عينيها البراقين شعاع الشجاعة والنبل .

وبينا هي على درجات المقصلة اذ عنت لها أفكار فطلبت فرطاً دائماً لانياتها ، إلا أن طلبها رفض . ولن نعرف بطبيعة الحال ماهية هذه الأفكار التي نادتها ساعة الموت فلم تتمكن من تليتها .

بعد أسبوع من اعدام مانون عثر رجل على جثة فائقة الى بعض الأشجار وقد امسكها بالشجرة سيف قد نفذ اليها من قلبه وعند قدمه ورقة خط عليها ما يأتي : ( أنا رولان ) لم أترك فرصة تمر